دراسة دلاليّة لدّيوان "حالة حصار" لمحمود درويش وفق نظرية الحقول الدّلاليّة

A semantic study of Mahmoud Darwish's blog "State of Siege" according to the theory of semantic fields

خيرة وارف [*1]

[1]مخبر التراث الثقافي بالجنوب الغربي الجزائري في ضوء النقد المعاصر (ولايتا النعامة والبيض)

المركز الجامعي صالحي أحمد بالنعامة (الجزائر)، ouaref@cuniv-naama.dz

تاريخ الاستلام: 2023/07/28 تاريخ القبول: 2024/03/12 تاريخ النشر: 2024/04/24

ملخص: تعدّ نظرية الحقول الدّلاليّة من الآليات المهمّة، الّتي يُمكنها تحديد دلالة أيّ نص لغوي، والكشف عن معناه وفهمه، فهي قادرة على تحليل عناصر المعنى اللّغوي. والكشف عن المعجم اللّغوي والشّعري للشّاعر. ومحمود درويش كان معجمه اللّغوي والشّعري غنيًّا بالدّلالات، من خلال مدوّنته "حالة حصار"، إذ تنوّعت الحقول الدّلاليّة فيها: بين الطّبيعة والحرب والحزن. ونظرًا لثرائها اللّغوي ارتأينا دراستها دلاليًّا، من منظور نظرية الحقول الدّلاليّة، محاولين تحديد الحقول الدّلاليّة الرئيسة فيها، فكشفنا عن أهمية الحقل الدّلالي في إدراك وفهم معاني النّصوص الشّعريّة، ودوره الفعّال في تحديد معاني ودلالات الكلمات والمفردات المنتمية إليها.

كلمات مفتاحية: نظرية الحقول الدّلاليّة.، الحقل الدّلالي.، الدّلالة.

Abstract:

The theory of semantic fields is one of the important mechanisms that can determine the semantics of any linguistic text, reveal its meaning and understand it, it is capable of analyzing the elements of linguistic meaning. The semantic field has the ability to reveal the linguistic and poetic lexicon of the poet. And Mahmoud Darwish, his linguistic and poetry lexicon was full and rich in connotations through his blog "State of Siege". The semantic fields have diversified in her: between nature, war, sadness. Given the linguistic richness of this poetic blog, we decided to study it semantically, from the perspective of the theory of semantic fields, and we tried to identify the main semantic fields in it, then we revealed the importance of the semantic field in realizing and understanding the meanings of poetic texts, and its effective role in determining the meanings and connotations of the words and vocabulary that belonging to it.

Keywords: Semantic field theory; Semantic field; connotation (meaning)

[*] المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يعدّ المستوى الدّلالي المعجمي من أسمى مستويات اللّغة، بل هو غاية كلّ دراسة لغويّة ومنتهاها، إذ تهدف كلّ العلوم اللّغوية إلى تحديد المعنى وإيضاحه، ولعلّ من أهمّ فروع علم الدّلالة، ما سمي بنظريّة الحقول الدّلاليّة، هذه الأخيرة تعدّ في البحث اللّساني، من أهم آليات علم الدّلالة، الّتي تهدف إلى دراسة المعنى في أي نص لفهمه والكشف عن فحواه وخباياه، فهي من أهمّ النظريّات المستعملة في مقاربة النصوص واستجلاء دلالاتها، لذلك ارتأينا أن نكشف أسرار البنيّة المعجميّة، في المدوّنة المنتميّة لصاحبها محمود درويش، والموسومة "حالة حصار"، بتطبيق آلية الحقول الدّلاليّة عليها، محاولين كشف أهمية الحقل الدّلالي في إدراك معاني النّصوص الشّعريّة، وفي فهم معاني الكلمات والمفردات المنتمية إليها. لقد اِنطلقنا في دراستنا هذه من الإشكالية التالية: ما هي أهمّ الحقول الدّلاليّة الرئيسة في مدوّنة "حالة حصار"؟. وما هو دورها وأهميّتها في دراسة المعنى وفهمه، وفي كشف خبايا وأسرار النصوص الشّعريّة في المدوّنة الشّعريّة؟. ولعلّ من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، هو أنّ النّص الشّعري يتمتّع بلغة غنيّة بالرموز والإيحاءات، وهذا سبب جعلنا نتحفّز للكشف عن دلالات البنيّة المعجميّة لتلك اللّغة، ودراستها في ضوء الحقول الدّلاليّة، مع الكشف عن المعاني السياقيّة الإضافيّة، الّتي انزاحت إليها المفردات. وقد ركّزنا في دراستنا هذه على الحقول الدّلاليّة الرئيسة، الّتي غلبت على المدوّنة الشّعرية: حقل الطبيعة، وحقل الحرب، وحقل الألوان، وحقل الحزن، لأنّ المدوّنة الشّعريّة غنيّة بالكثير من الحقول الدّلاليّة ذات معاني موحيّة، كحقل الإنسان، وحقل الزّمن، وغيرها، إذ ليس بإمكاننا تناول جميع تلك الحقول، لذلك ركّزنا على أهمّها. وللإجابة عن الإشكالية المطروحة تناولنا في دراستنا؛ مقدّمة مهّدنا فيها لموضوعنا وعرضنا فيها أهميته، ثمّ تناولنا مفهوم الحقل الدّلالي وأنماطه، ومن ثمّ كشفنا عن أهمّ الحقول الدّلاليّة الواردة في المدوّنة الشّعريّة؛ حقل الطبيعة، حقل الحرب، حقل الحزن، حقل الألوان.

2. مفهوم الحقل الدّلالي و أنماطه

1.2 مفهومه:

نجد محمد علي الخولي، قد أطلق على الحقل الدّلالي تسمية الحقل المعجمي، عرّفه بأنّه"**صنف أو عنوان تندرج تحته مجموعة كلمات يتراوح عددها بين اثنتين وبضع مئات أو بضع آلاف**"[1]، ومنه فالحقل الدّلالي عنوان عام، يتضمّن مفردات وألفاظ تعبّر وتشير إلى ذلك العنوان، وأمّا أحمد مختار

عمر، فقد عرّف الحقل الدّلالي(المعجمي)بقوله: **"الحقل الدّلالي Semantic field أو الحقل المعجمي Lexical field هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها"**[2]. ويعرّف جورج مونان الحقل الدّلالي بأنّه مجموعة من الوحدات المعجميّة، الّتي تتضمّن مفاهيم تندرج ضمن مفهوم عام يحدّد الحقل[3]، وممّا سبق نستنتج أنّ الحقل الدّلالي أو المعجمي، هو مجموعة من المفاهيم، تنبني على علائق لسانيّة مشتركة، إذ يمكن أن تكون بنية من بنى النّظام اللّساني، كحقل الألوان والقرابة العائليّة....وغيرها.

2.2 أنماطه:

لقد صنّف علماء اللّغة الغرب الحقول الدّلاليّة، إلى أنماط مختلفة، رغم مواجهتهم لصعوبات في تصنيفاتهم، ولعلّ من أهمّ التصنيفات:

1) **تصنيف هاليج hallig ويتبرج wartburg**، لقد كان موضوع تصنيف المفاهيم إشكاليّة أعمال مؤتمر العالمي السابع لعلم اللّغة، الّذي عقد في لندن عام1952م، إذ اقترح فيه hallig و wartburg تصنيفهما، ويقوم هذا التصنيف على ثلاثة أنماط،وهي:[4]

أ- المفردات الّتي تشير إلى الكون وما فيه من ظواهر طبيعيّة: السماء والغلاف الجوّي، والأرض والنبات والحيوان.

ب- المفردات الّتي تشير إلى الإنسان: جسم الإنسان، والفكر، والعقل والحياة الاجتماعيّة.

ت- المفردات الّتي تشير إلى العلاقة بين الاثنين(الإنسان والكون)، ويدخل في ذلك كلّ ما يتعلّق بالعلم والصناعة والاقتصاد، والفن؛ ولكلّ قسم أقسام فرعيّة.

2) **تصنيف معجم العهد اليوناني الجديد Greek New Testament**، ويعدّ هذا التصنيف، من أشمل التصنيفات، الّتي قُدّمت لحدّ الآن، وأكثرها منطقيّة، ويقوم هذا التصنيف على أربعة أقسام رئيسة:

أ- **الموجودات**: وهي تتفرّع إلى قسمين: حي وغير حي، ولكلّ قسم منها فروعه، وقد يضمّ القسم الحيّ: الحيوانات بمختلف أنواعها: طيور وحشرات وزواحف...وغيرها، وكلّ ما يتصّل بها، ولكلّ فرع من هذه الفروع أجزاءه. وأمّا غير الحي، فمنه الطبيعي، الّذي ينقسم إلى: جغرافي ونباتي ومائي....إلخ، في حين أنّ الفرع المركّب والمصنّع ينقسم إلى: منتجات مبنيّة وغير مبنيّة، ولكلّ منها أجزاؤه أيضا.[5]

ب- **الأحداث**؛ منها: أحداث طبيعيّة، كالمناخ، والنشاط الانفعالي؛ كالخوف والحزن والإدراك، والذاكرة والتّفكير....إلخ.

ت- **المجرّدات**: تشمل الألفاظ الدّالّة على الوقت، والمقدار والجاذبيّة، والجودة والسرعة، والعمر.....وغيرها.

ث- **العلاقات**؛ منها: المكانية والزّمنيّة، والإنسانيّة والعقليّة.....وغيرها.

وكلّ حقل من هذه الحقول ينقسم إلى أقسام فرعيّة، إذ يعتبر كلّ قسم منها حقلًا دلاليًّا، يحتوي على مجموعة من الكلمات، الّتي تخصّه، وينقسم كلّ قسم منها بدوره إلى أقسام صغرى، باعتبار أنّ لكلّ حقل كلمات أساسيّة، وكلمات هامشيّة. كانت هذه أهمّ تصنيفات الحقول الدّلاليّة، الّتي سنحاول مزجها والاعتماد عليها في دراستنا وتحليلنا لديوان"حالة حصار".

3. الحقول الدّلاليّة في المدوّنة الشّعريّة "حالة حصار"

ولمّا كان الغرض من تحليل الحقول الدّلاليّة، هو جمع وإحصاء الكلمات والمفردات، الّتي تنتمي إلى الحقل ذاته، ومعرفة الصّلات الّتي تجمع بينها وبين المصطلح العام، الّذي تنتمي إليه، كان لابدّ علينا أخذ المدوّنة الشّعريّة، بغية استقراء المعجم الشّعري و اللّغوي للشّاعر، باستخراج الكلمات، الّتي قد تخصّ حقلًا معيّنًا؛ أي: نستخرج أهم الحقول الدّلاليّة الرئيسة والفرعيّة، ونوزّع تلك الكلمات المستخرجة على الحقول الدّلاليّة؛ الرئيسة والفرعيّة، ونضعها في الحقل الدّلالي المناسب لها. وبعد قراءتنا للقصيدة، توصّلنا إلى تحديد الكثير من الحقول الدّلاليّة، الّتي عجّت بمختلف الدّلالات النابعة، من الخطاب الشّعري المنبثق من تجارب شعريّة متعدّدة. وهذا يدلّ على غنى لغة الشّاعر، وغنى معجمه الشّعري واللّغوي. ولكنّنا خصّصنا تركيزنا على أبرز الحقول الدّلالية الغالبة على الجو العام للمدوّنة الشّعريّة، وهذه الحقول سنوضّحها فيما سيأتي من عناصر:

1.3 حقل الطبيعة:

تعدّ الطبيعة بمختلف مكوّناتها وأصنافها، مجالاً خصبًا، يستمدّ منه الشّعراء مفرداتهم وكلماتهم، لأنّهم وجدوا فيها صوّرًا تعبّر عن مشاعرهم، وأفكارهم، فشكّلت مصدر إلهام لهم، لما تحمله من دلالات عديدة، ومحمود درويش كغيره من الشّعراء، قد بدا متأثّرًا كثيرًا بالطبيعة، الّتي تحوم حوله من خلال مدوّنته"حالة حصار"، إذ استعان بالكثير من الكلمات والمفردات، الّتي تدلّ على الطبيعة، سواء الطبيعة الحيّة، كالإنسان والحيوانات: الطيور والغزالة، والحمام والإبل.....وغير ذلك، والطبيعة غير حيّة، الّتي تشمل كلّ ما هو جامد وما هو من صنع الإنسان، كوسائل النّقل: القطار وسيّارة .....وغيرها، والبساتين. وتضمّ الطبيعة غير حيّة، الطبيعة الحقيقيّة، كالسماء والنّجوم، والكواكب ....وغيرها، وحقل الطبيعة يُصنّف في التصنيف الأوّل، الخاص بالمفردات، الّتي تشير إلى الكون وما فيه من ظواهر طبيعيّة، حسب

تصنيف هاليج ويتبرج للحقول الدّلاليّة، ويدخل ضمن حقل الموجودات، حسب تصنيف معجم العهد اليوناني الجديد.

إنّ حقل الطبيعة حقل رئيس، ذا مصطلح عام، قد يتفرّع إلى حقول دلاليّة فرعيّة ثانويّة، فقد نجد فيه وحدات معجميّة تدلّ على السماء والفضاء، وما يشملهما، وتتمثّل هذه الوحدات في: (السماء والقمر والكواكب، والشّمس والجوّ والسحابة، والسّحب والنّجوم)، فهذه وحدات معجميّة تدلّ على معانٍ مختلفة، ولكنّها جزء لا يتجزّأ من مفهوم عام وهو السماء، إذ أخذ الشّاعر يعبّر عن معاناة الشّعب الفلسطيني، وما يستخدمه الصهاينة من ظلم واستبداد وقتل في حقه، فراح يستعين بلفظ(السماء) لتصوير هذه المعاناة، عندما قال:

"السماء رصاصيّة في الضحى

برتقاليّة في اللّيالي"[6]

فقد حاول الشّاعر تصوير مشهد، سياسة الحرب والقصف، الّتي يستعملها الصهاينة ضدّ الفلسطينيّين، فالسماء تدلّ معجميًّا على**"ما يحيط بالأرض من الفضاء الواسع"**[7]،وجمعها: سماوات وسموات. وقد وصفها الشّاعر في قوله السابق، بالرّصاصيّة ليعبّر عن اختلاط لون السّماء وتلوّنه بلون الرّصاص، وذلك نتيجة لكثرة القصف الّذي يمارسه الصهايّنة. ومنه فقد استعان محمود درويش بهذه الصورة، ليشير إلى الحالة الّتي يعيشها الفلسطينيون، بحيث يمرّ نهارهم بالقصف والقتل، وليلهم بالقصف أيضا، فتظلّ السماء في فلسطين ملوّثة بما تفرزه مدافع الصهاينة، ولعلّ هذه الصورة تعبّر عن دلالة مختصرة وهو انعدام السّلام، واضطراب الأوضاع. وهكذا؛ تجلّت أهميّة لفظ (السماء)في بناء معنى ودلالة ذلك التّركيب اللّغوي. ومن الألفاظ الّتي تدخل ضمن حقل السماء والفضاء أيضًا، مفردة (القمر)، الّتي قد وردت في قول محمود درويش:

"وإن لم تكن حجرًا يا حبيبي

فكن قمرًا

في منام الحبيبة...كن قمرًا

{هكذا قالت امرأة

لابنها في جنازته}"[8]

فقد تحدّث الشّاعر ههنا عن الأم، الّتي قُتل ولدها وهو يحارب الاستعمار الإسرائيلي، إذ جعلها تدخل في حوار مع ولدها الشهيد، فخاطبته في جنازته وأمرته أن يكون قمرًا، والقمر كما هو معروف لدى

العامّة والخاصّة، هو **"ابن الأرض الّذي يدور حولها وينيرها ليلًا، ج: أقمار،ويسمّى هلالا لليلتين أو ثلاث من أوّل الشّهر وآخره، ثمّ هو قمر سائر الشّهر"**[9]، ومنه يتشكّل القمر في اللّيلة الثالثة من الشّهر، كانت هذه دلالته المعجميّة الواردة في المعاجم العربيّة، ولكنّ الشّاعر في قوله السابق، قد أكسبه دلالة مجازيّة إضافيّة، فعندما خاطبت الأم ابنها الشهيد وأمرته أن يكون قمرًا، وهذا تعبير مجازي، لأنّ الإنسان لا يمكن أن يكون قمرًا في الحقيقة، لذلك هي دعته أن يتشبّه به في إنارته وحسنه وفي حضوره ومكانته، وكما هو واضح في النّص الشّعري يبدو أنّ خطاب الأم موجّه إلى ابنها ظاهريًّا، ولكن باطنيًّا قد يكون موجّهًا إلى أصدقاء ابنها، وإلى أي شاب فلسطينيّ، وخطابها مفاده أن يكون قمرًا مرغوبًا ومحبوبًا لدى عامّة النّاس، ولدى الفلسطينيّين خاصّة، بأفعاله وشجاعته، وهكذا؛فقد تجاوز الشّاعر المعنى المعجميّ الوضعيّ لمفردة(القمر)، وأضفى إليها دلالة جديدة هامشيّة غير مركزيّة[10]، وهي الشهيد، ولعلّ الشّاعر قد رمز للشهيد بمصطلح يليق به، في الحسن والعظمة، وفي دوره وأهميّته في الكون، فالشهيد أيضا له دور مهم وكبير في مجتمعه ووطنه، الّتي دافع عنها وضحّى بحياته من أجل استقلالها وسلامتها، وبعد شهادته يبقى أثره وعمله خالدًا فيها، وهكذا نستنتج أنّ خطاب الأمّ عبارة عن توصية، وتشجيع وتحفيز لشباب فلسطين، بأن يكونوا مثل ابنها شهداء في سبيل تحرير بلادهم من الاستعمار الإسرائيلي، لأنّ ذلك يجعل بلادهم وأهلهم فخورين بهم، بدل التقاعس والتردّد في أداء الواجب الوطني، والهروب منه، وممّا يدلّ على ما سبق ذكره، هو السياق اللّغوي.

ومن الألفاظ الّتي تدخل ضمن حقل السّماء، لفظ(الشّمس)، الّذي جاء؛في قوله:

"فناجين قهوتنا. والعصافير. والشّجر الأخضر

الأزرق الظلّ. والشّمس تقفز من

حائط نحو الآخر مثل الغزالة..."[11]

والشّمس اسم معروف، وقد نسب إليها الشّاعر في قوله السابق، فعل القفز على سبيل المجاز، إذ شبّهها بالإنسان، فذكر المشبّه وغيّب المشبّه به، وأوجد في الكلام ما يدلّ عليه، وهو فعل القفز، وقد شخّص الشّاعر السّحابة، عندما قال:

"قالت امرأة للسحابة: غطّي حبيبي

فإنّ ثيابي مبلّلة بدمه"[12]

والسحابة هي واحدة السحب أو السحائب أو السّحاب، وهي الغيمة، ولعلّها سميّت سحابة لانسحابها في الهواء[13]، وهكذا تجلّت الدّلالة المعجميّة لمفردة(السّحابة)، وإذا تتبعنا السياق اللّغوي، الّذي وردت فيه

المفردة، سندرك أنّ فعل الأمر هنا غرضه التّرجي والتوسّل، فكانت السّحابة بمثابة المنقذ والمنجد، إذ سرد لنا محمود درويش، في قوله السابق مشهد الأم وهي تعانق ابنها، الّذي اخترق رصاص العدوّ جسده، فتبلّلت ثيابها بدمه الساخن، فمات دون أن يساعده أحد، ولأنّها لم تجد مَن يمد لها يد العون، رفعت رأسها إلى السحابة، وقالت لها بلغة آمرة(غطي حبيبي)، لأنّ ثيابها لم تعد تصلح للغطاء وتبلّلت بدمه، ولكنّ لغة الأمر هذه غير حقيقيّة، لأنّ السّحابة لا تؤمر من الإنسان فتطيع، وإنّما هذا أمر فيه رجاء وتوسّل واستغاثة، ودعاء إلى الله تعالى من أجل أن تمطر السّحابة بإذنه، ويأتي غيثها ليغطي ابنها، وهكذا؛ فقد مثّلت السّحابة وما يأتي منها من غيث بفضل الله تعالى، يدًّا مساعدة لها.

وقد يتفرّع عن حقل الطبيعة حقلًا آخرًا، ويتمثّل في حقل الألفاظ الدّالّة على النبات والشّجر، ويمكن تقسيم هذا المجال الدّلالي إلى مجموعتين دلاليتين:

أوّلهما: تشمل حقل الورود بمختلف أنواعه، ومحمود درويش في دّيوانه الشّعري، ذكر بعض أنواع الورود: كالبنفسج والزهر والنرجس والياسمين والأرجوان والقرنفل...وغيرها، وقد كان لكلّ منها دلالة موحية سنحاول استبيانها، فقد ذكر الشّاعر ورد السياج في قوله:

"السّماء رصاصيّة في الضحى

برتقالية في اللّيالي. وأمّا القلوب

فظلّت حياديّة مثل ورد السياج"[14]

فهنا شبّه الشّاعر القلوب بورد السيّاج في حياديتها، وورد السياج هو نوع من النباتات يتبع جنس الورود، من الفصيلة الورديّة، وهو نبات ينبت برّيًا في الجبال، يتميّز بفروعه وأوراقه الشائكة، ولعلّ هذا ما جعل الشّاعر ينسب إليه صفة الحياديّة، باعتباره نوع من الورود الشّوكيّة، يبقى بعيدًا عن غيره من النباتات، وأنواع الورود والزهور الأخرى، والشّاعر لمّا قال (وأمّا القلوب فظلّت حياديّة مثل ورد السياج)، لعلّه يقصد بالقلوب البشر أو الأمّة العربيّة، وهذا مجاز مرسل علاقته جزئيّة، إذ جاء بالجزء (قلوب البشر) ليُعبّر عن الكلّ(البشر أو الأمّة العربية).

فقد راح الشّاعر في القول السّابق، يُصوّر لنا مشهد سياسة الحصار، الّتي يتّبعها الصهاينة ضدّ الشّعب الفلسطينيّ، ثم أخذ يصف القلوب بالحياديّة، ولعلّه يشير بالقلوب إلى البشر وإلى الأمّة العربيّة، الّتي ظلّت حياديّة تراقب من بعيد ما يحدث في فلسطين من حصار، وظلم وقتل واغتصاب، دون أن يكون لها أثر أو ردّ فعل مؤثّر لصالح القضيّة الفلسطينيّة، وكأنّ الشّاعر يوجّه رسالة إلى الدّول العربيّة، ويتّهمهم بالحياديّة والتكتّم والاكتفاء بالمراقبة وعدم التدخّل في القضيّة الفلسطينيّة، من أجل إيجاد حلول لهذا

الاستعمار المستبّد. ومن الألفاظ الّتي تنتمي أيضًا إلى حقل الورود، لفظ(البنفسج)، الّذي قد جاء؛ في قول الشّاعر:

"مضى الساهرون ولم تبق إلّا سلال

البنفسج حولي. تساءلت أين العروسان؟"[15]

فالبنفسج هو نبات زهري، ينتمي إلى جنس(فيولا)، وإلى الفصيلة البنفسجيّة، يزرع للزينة، وتتميّز زهوره برائحتها العطرة[16] وهي زهرة توضع غالبًا على القبو، لذلك أطلق عليها لقب زهرة الحزن، ومنه قد ترمز في القول السابق إلى الموت والجنازة. وهكذا؛ نستنتج ممّا سبق بأنّ الشّاعر قد استعان بالأزهار والورود، ليرمز إلى أشياء معنويّة، كالموت الّذي رمزت إليه زهرة البنفسج، وأمّا(الياسمين)الّذي ذكره الشّاعر؛في قوله:

"لعلّك مثلي تُصفر لحنًا يُهاجر

أندلسيّ الأسى، فارسيّ المدار

فيُوجعك الياسمين، وترحل"[17]

فقد لا يعبّر هذا اللّفظ عن دلالته المعجميّة، الّتي تُعرّفه بأنّه زهر من جنس النباتات، ومن الفصيلة الزيتونيّة، يتميّز بزهوره الكثيرة الزكيّة البيضاء، ورائحته الطيّبة، وقد يحمل هذا اللّفظ بين طيّاته، دلالة ومعنًى آخر أضفاه الشّاعر إليه، ليُعبّر عن المعنى المراد، فعندما قال"يُوجعك الياسمين، وترحل"، لم يكن يقصد بالياسمين، ذلك الورد بحدّ ذاته، وإنّما لعلّه يقصد به الدّم، دم الفلسطنيين ، الّذين يقّتلهم العدوّ الإسرائيلي، لأنّ رؤية الزهور لا توجع، وإنّما رؤية الشهيد الفلسطيني، المقتول من طرف الصهاينة هي الّتي توجع، وهكذا؛ فالفعل(توجع) هو الّذي كشف لنا عن هذه الدّلالة، وهذا ما يبيّن أهميّة السياق اللّغوي في تبيان دلالة المفردات. وهكذا؛ كان للزهور دور في خدمة المعنى. وأمّا ثاني مجموعة دّلاليّة، والّتي تدخل ضمن حقل النباتات، حقل الألفاظ الدّالّة على الشّجر، من ذلك(الشّجر والعشب والصنوبر والتّين والشّجر الأخضر..وغيرها). وقد يتفرّع عن حقل الطبيعة، حقلاً آخر وهو حقل الحيوانات، الّذي يمكن أن نقسّمه إلى:

أ.حقل الطيور: ويشمل هذا الحقل المفردات التاليّة: (الغراب والحمامات والفراشة والحمائم)، ولفظ(الحمامات) الّذي استعمله محمود درويش؛ في قوله:

"عندما تختفي الطائرات تطير الحمامات،

بيضاء،بيضاء. تغسل خدّ السّماء

بأجنحة حرّة، تستعيد البهاء وملكيّة"[18]

يدلّ معجميًّا على نوع من الطيور، من الفصيلة الحماميّة، والحمامات جمع مؤنّث، وواحدته حمامة، استعان الشّاعر بهذا اللّفظ ليُعبّر عن دلالة أخرى، غير دلالته المعجميّة، فعندما نسب لون البياض إلى الحمامات، جعلها رمزًا للسّلام، وهذه الدّلالة سياقيّة اجتماعيّة مستوحاة من المجتمع، إذ كثيرًا ما يُرمز للسّلام والآمان في مجتمعاتنا بالحمامة البيضاء، ويبدو أنّ محمود درويش في قوله السابق يتمنّى أن تختفي طائرات الاستعمار الصهيوني، الّتي تقصف وتدمّر كلّ حيّ، وأن تظهر الحمامات البيضاء، لتعلن عن السّلام والاستقلال في فلسطين، وهكذا؛فقد استعان بلفظ(الحمامات)لكي يُعبّر عن شيء يتمناه هو وكلّ فلسطينيّ، فهو يتمنّى أن يعمّ السّلام في الأراضي الفلسطينيّة، وأن يتحقّق الاستقرار وينتصر الشّعب الفلسطيني على عدوّه الصهيوني، فكانت الحمامات تحلّق في السماء حتّى تغسل خدّها من الدّماء ومن بقايا الرّصاص، وكلّ ما هو مخيف بالنسبة للشّعب الفلسطينيّ، حتّى تنسيه ولو لبرهة من الزّمن ذلك الخوف، والحصار الرهيب أثناء هجوم العدّو، وأمّا بخصوص لفظ(الثعلب)، الّذي قد ورد؛في قوله:

"السّلام هو الانتباه إلى الجاذبيّة

في مُقلتي ثعلب تُغويان الغريزة في امرأة خائفة"[19]

فهو يدلّ معجميًّا على حيوان ماكر، يُضرب به المثل في ذلك[20]، ومنه فقد يدلّ في قول الشّاعر على مكر وخبث العدوّ الإسرائيلي بالشّعب الفلسطينيّ، ولشدّة خبثه نعته الشّاعر بالثعلب، لأنّ هذه الصّفة يشتهر بها الثعلب، ومعروف بأنّ المكر والخبث من طباعه، وإضافة إلى(الثعلب)نجد الشّاعر قد وظّف لفظًا آخر، ليدلّ على عكس الصّفة السابقة، وهو لفظ(الحصان)، الّذي جاء؛في قوله:

"بلاد على أهبة الفجر

أيقظ حصانك

واصعد

خفيفًا خفيفًا،

لتسبق حلمك"[21]

والحصان هو حيوان أليف، وهو **"الفحل من الخيل العتاق"[22]** ؛ أي: أصيلها، ولكنّه في سياق القول السابق، قد يشير إلى دلالة معنويّة، إذ قد يرمز الحصان إلى أصالة الشّعب الفلسطينيّ، وأنّه الأحق بأرضه ولن يسكت على هذا الحصار، وأنّه سيُناضل حتّى يحقّق النّصر، أو يستشهد في ساحة المعركة من أجل

أرضه. ولفظ(الغراب) هو أيضا لفظ ينتمي إلى حقل الطيور، وقد جاء وروده؛ في قول محمود درويش، الّذي يذكر فيه حديث فتاة إلى حبيبها، إذ قالت له:

"شهر آذار: هذا النّهار لنا كلّه

كلّه، يا حبيبي، فلا تتأخّر كثيرًا

لئلا يحطّ غراب على كتفي..."[23]

يعدّ الغراب من جنس الطيور، معروف بلونه الأسود، ينتمي إلى فصيلة الغرابيات، وهو من أخبث الطيور[24]، وهكذا؛ فلفظ(الغراب) يدلّ معجميًّا على نوع من الطيور، ولكنّ الشّاعر أكسبه معنًى جديدًا إضافيًا، استوحاه من الواقع الاجتماعي، إذ كثيرًا ما نشعر بالتشاؤم عند رؤيتنا لهذا الطائر، لأنّه قد يشير إلى وقوع مصيبة، لذلك أُعتبر رمزًا للتشاؤم، وقد دلّ في القول السابق، عندما خاطبت الفتاة حبيبها: **"فلا تتأخّر كثيرًا، لئلّا يحطّ غراب على كتفي"**على الموت، إذ خاطبته بأن لا يطيل الغياب ويعود قبل أن يحط الغراب على كتفها؛ أي: قبل أن تموت أو يموت هو.

وبهذا جعل الشّاعر الغراب رمزًا للموت. وممّا سبق نستنتج أنّ لكلّ مفردة معنًى أساس، وهو معناها المعجمي، الّذي وُضعت له أساسًا، والبعض يدعوه المعنى الحرفي، أو المعنى المفهومي[25]، والمعنى الإضافي المجازي، الّذي تستقيه من سياقات مختلفة اجتماعيّة، وثقافيّة،....وغيرها، ومنه فالمعنى المعجمي لمفردة(الغراب) يقول إنّه نوع من الطيور، وأمّا المعنى الإضافي المجازي له، فيتمثّل في دلالته على الموت، وللسّياق اللّغوي؛ أي: المحيط اللّغوي الّذي وردت فيه المفردة، هو الّذي حدّد وأوجد هذه الدّلالة الإضافيّة، لأنّ كلّ كلمة في كلام المتكلّم، لا توجد منفردة عن بقية أجزاء الكلام ونصوصه، وإنّما مجموع الكلمات والجمل، الّتي تحيط بها، تؤثّر في معناها[26]، وهذا ما حدث في القول السابق، إذ أثّرت مجموع الكلمات المذكورة في ذات التّركيب اللّغوي، في تحديد دلالة مفردة(الغراب). وهكذا تجلّت أهمّ المفردات، الّتي مثّلت حقل الطيور. ومنه فقد كان للشّاعر غرض وهدف سامي، ولكنّه أخفاه ليكتشفه القارئ، إذ جعل من الحيوانات، وهي كائنات حيّة، رموزًا لأشياء معنويّة، فرمز لأصالة الشّعب الفلسطيني بالحصان، ورمز لخبث ومكر العدوّ الصهيوني بالثعلب، ورمز للموت بالغراب، ورمز للسّلام بالحمامة البيضاء، وكلّ هذه الرموز استقاها من الواقع الاجتماعي، ومنه يمكن القول: إنّ لكل كلمة معنىً معجميًّا يُمثّل معناها الحقيقيّ، ومعنًى تاريخيًّا تكتسبه بفعل الاستعمال العرفي[27].

ومن الألفاظ الّتي تنتمي إلى حقل الحيوان، لفظ(الغزالة) الّذي جاء في كلام الشّاعر، عندما أخذ يُشبّه الشّمس بالغزالة؛ في قوله:

"والشّمس تقفز من حائط نحو آخر مثل الغزالة..."[28]

فالغزالة هي أنثى الغزال، وهي حيوان برّي معروف بكثرة قفزه، لذلك شبّه الشّاعر كثرة ظهور الشّمس وغيوبها، بكثرة حركة وقفز الغزالة، غير أنّ قفز وكثرة حركة الغزالة فيه معنى حقيقيّ، ولكنّ الشّمس لا تقفز، وإنّما تشرق وتغرب، تغيب و تسطع، كما أنّ الشّمس يسمونها الغزالة في ارتفاع الضحى[29].

وقد نجد ضمن حقل الطبيعة حقلًا آخر متفرّعًا عنه، وهو حقل الألفاظ الدّالّة على فصول السنة، وتشمل وحدات هذا المجال الدّلالي، مجموعة الألفاظ المتعلّقة بالفصول، ومن بين هذه الألفاظ المذكورة، في دّيوان"حالة حصار" نجد (الخريف والربيع ...وغيرها)، إذ نجد الشّاعر يصف النّهار بالخريفيّ؛ في قوله:

"والنّهار الخريفيّ يُكمل نزهته الذهبيّة

في شارع واسع كالكنيسة

بعد صلاة الأحد..."[30]

ممّا لاشكّ فيه بأنّ لفظ(الخريفيّ) اسم منسوب إلى الخريف، والخريف معروف بأنّه فصل من فصول السّنة الأربعة، ويأتي بعد فصل الصيف وقبل الشتاء، ويمتدّ لمدّة ثلاثة أشهر، وقد سمي بالخريف لأنّ الأشجار والثمار تخترف فيه[31]، ومعروف بأنّ في الخريف تتساقط أوراق الأشجار، لذلك استعان الشّاعر بهذه الصورة الطبيعيّة، ولكنّه أراد بها معنًى آخر، فعندما قال النّهار الخريفيّ لعلّه لم يقصد به ذلك النّهار، الّذي ينتمي إلى أيّام الخريف، والّذي تتساقط فيه الأوراق، وإنّما نسب صفة الخريفيّ إلى النّهار، ليُعبّر عن تساقط جثث الشهداء الفلسطينيين، الّذين دافعوا عن وطنهم من أجل نيل الاستقلال، وممّا سبق نلاحظ كيف كان لهذا اللّفظ؛ أي:الخريفيّ دلالة قيّمة، ومعنًى عميق وموحي، متجاوزًا معناه الحقيقيّ، وهذا المعنى يُفهم من السياق اللّغوي، ليكون لهذا الأخير دور كبير في توجيه المعنى وتحديده، فالمعنى السياقيّ، الّذي حدّدناه فيما سبق لمفردة (الخريفيّ)، هو معنى مستقى من النّظم اللّفظي والمعنوي للكلمة، ومن موقعها من ذلك النّظم[32]، ومن السياق العام للكلام، إذ تخضع الكلمة للعلاقات المعنويّة والظروف الحاليّة، والتّعبيريّة المحيطة بها، الّتي يأتلف بعضها مع بعض لتبيّن المعنى الخاص لتلك الكلمة، والّذي سمي بالإضافي[33]، أو الهامشيّ[34]، أو ضلال المعنى[35].

وينتمي لفظ(الرّبيع) أيضًا إلى الحقل الفرعي"حقل فصول السّنة"، وقد ذكره الشّاعر، حينما قال مخاطبًا الشّعر والنّثر:

"{إلى الشّعر والنّثر:}طيرا معًا

كجناحي سنونوّة تحملان الرّبيع المبارك"[36]

حيث خاطب الشّاعر هنا الشّعر والنّثر وأمرهما بالطيران، كجناحي سنونوّة؛ أي: أمرهما بالانتشار ليحملان الرّبيع المبارك، وقد يقصد بالرّبيع المبارك، الثورة والقضيّة الفلسطينيّة المباركة، والشّعر والنّثر أفضل وسيلة لنشر هذه القضيّة، والدّفاع عنها، فيذيع صيتها في أقطار العالم، وهكذا؛ فقد أخرج الشّاعر مفردة (الرّبيع) من محيطها المعجمي الحقيقيّ، الّذي يقرّ بأنّها فصل من فصول السّنة، وهو فصل تزهر فيه الزهور والورود، ويأتي بعد الشتاء، وقبل الصيف، وتمتدّ فترته لمدّة ثلاثة أشهر[37]. و إذا تتبّعنا السياق أو التّركيب اللّغوي، الّذي وردت فيه المفردة، سندرك أنّ محمود درويش لا يريد بالرّبيع، ذلك الفصل الّذي ينتمي إلى فصول السّنة الأربعة، وإنّما يريد به دلالة أخرى سياقيّة، أخذها من الواقع الاجتماعي، إذ جاء الرّبيع في قوله، لدلالة الثورة؛ أي:الثورة الفلسطينيّة المباركة. وهكذا؛ فقد أثبت لنا الشّاعر مرّة أخرى بأنّ للسياق اللّغوي، أهميّة كبيرة في الكشف عن المعنى المراد.

2.3 حقل الحرب:

لقد تحدّث محمود درويش في مدوّنته"حالة حصار، عن القضيّة الفلسطينيّة، وعن حربهم مع العدوّ الصهيونيّ، الّذي استعمل شتّى الوسائل والسياسات، بهدف اضطهاد واستعمار كل ما هو فلسطيني، وفي المقابل كان الفلسطينيون يُقاومون بكلّ ما أوتوا من قوّة ووسائل هذا الاستعمار الغاشم، لذلك كان لابدّ أن تنتشر المفردات الدّالّة على الحرب في ثنايا المدوّنة الشّعريّة، ولكنّ حقل الحرب حقل عام، يمكننا تقسيمه،إلى حقلين فرعيين:

أ.حقل الألفاظ الدّالة على وسائل الحرب:

بعد قراءتنا للمدوّنة الشّعريّة "حالة حصار"، وجدناها تفيض بذكر مثل هذه الوسائل، كون الشّاعر بصدد وصف وسرد لثورة قائمة، فنجد على سبيل المثال: الدّبابة والبندقيّة، والسّيوف والرّصاص، والطائرات والقنبلة، والقذيفة ....وغيرها. إذ يقول الشّاعر:

"بلاد على أهبة الفجر،

صرنا أقلّ ذكاءً،

لأنا نُحملق في ساعة النّصر:

لا ليل في ليلنا المتلألئ بالمدفعيّة"[38]

فقد وصف ليلهم، الّذي حوّله العدوّ الصّهيوني، إلى ليل متلألئ بأنوار الرّصاص، والمدافع والنيران، الّتي يشعلها الأعداء، ومنه فالشّاعر قد حافظ على المعنى المعجمي لمفردة(المدفعيّة)، وهي واحدة المدافع، وآلة

تُستعمل في الحرب، تدفع بها القذائف، وهي وسيلة مهمّة تستعمل كثيرًا في الحروب، وأمّا مفردة(الدّبابة)، الّتي قد جاءت؛ في قوله:

"{إلى الموت:}نعرف من أي دبّابة

جِئتَ.نعرف ماذا تريد...فعد

ناقصًا خَاتَمًا.واعتذر للجنود وضبّاطهم،

قائلًا:قد رآني العروسان أَنظُرُ

نحوهما،فتردّدتُ ثمّ أعدتُ العروس

إلى أهلها...باكية"[39]

خاطب الشّاعر في هذا القول الموت وسألها من أين جاءت؟؛ أي: من أي دبابة أتت؟، وأمرها بأن تذهب وترحل دون أن تأخذ أيّ أحد معها، وأمرها أيضًا بأن تعتذر للجنود، قائلة بأنّها رأت العروسان وهما ينظران إليها، فأشفقت عليهما، ولكنّها تسبّبت في حزن وبكاء العروسة، لأنّها أخذت منها عريسها. وتشير مفردة(الدّبابة) الّتي وردت في القول السابق، إلى تلك الآلة، الّتي تُستخدم في الحروب، وتتّخذ لهدم الحصون[40]. ومن المفردات، الّتي قد تنتمي إلى حقل وسائل الحرب، مفردة(قنبلة)، الّتي ذكرها الشّاعر؛ في قوله:

"ألسلام رثاء فتًى ثقبت قلبه شامة

امرأة لا رصاص ولا قنبلة"[41]

وتعدّ القنبلة وسيلة حرب مهمّة، وهي جسم معدني أجوف، يُحشى بالمواد المتفجّرة، ويُقذف به العدوّ، باليد أو بالمدفع، وقد حافظت المفردة السابقة على دلالتها المعجميّة في القول السابق.

ب. حقل الألفاظ الدّالّة على الأفراد المشاركين في الحرب:

إنّ مدوّنة محمود درويش، حافلة بالشخصيات المشاركة في الحرب، والّتي نذكر منها مثلا: (الشهداء والسجناء والأعداء، والضبّاط والجنود، والحرّاس، والضحيّة والجريح، والشّعب...وغيرها). لنستهلّ حديثنا عن هذا الحقل، بمفردتي (الشّهداء)و (الشّهيد)، إذ تعدّ الأولى جمعًا للمفردة الثانية، وقد وردت مفردة الشّهداء؛ في قول الشّاعر:

"هدوءًا،هدوءًا، فإنّ الجنود يريدون

في هذه السّاعة الاستماع إلى الأغنيات

الّتي استمع الشهداء إليها، وظلّت

كرائحة البنّ في دمهم...طازجة"[42]

وقد وردت مفردة(الشهيد)؛في قوله:

"مَن مات مَن؟

الشّهيدة بنت الشّهيد

وأخت الشّهيد وأخت الشّهيدة"[43]

ومعجميًّا كلمة(الشهداء)، الّتي واحدها(الشّهيد) وواحدتها (الشّهيدة)، مأخوذة من الشّهادة، الّتي تعني الاستشهاد والموت في سبيل الله، فالشهيد هو المقتول في سبيل الله[44]، دفاعا عن وطنه وعن عقيدته الإسلاميّة، ومنه فالشّهداء، الّذين يتحدّث عنهم الشّاعر، هم الفلسطينيون الّذين دافعوا عن وطنهم بكلّ ما أُتوا من قوّة وشجاعة، واستشهدوا في سبيل استرجاع دولتهم وحريّتهم المغصوبة منهم. وفي مقابل الشّهداء يوجد(الأعداء) الّذين حاربهم أولئك الشّهداء، وقد جاء هذا اللّفظ؛ في قول الشّاعر:

"لا ليل في ليلنا المتلألئ بالمدفعيّة

أعداؤنا يسهرون

وأعداؤنا يُشعلون لنا النّور

في حلكة الأقبيّة"[45]

فكلمة أعداء اسم جاء على صيغة الجمع، ومفردها(عدوّ)، وهي كلمة مأخوذة من العداوة، والّتي تعني الخصومة[46]، ومنه فالعدوّ هو الخصم وعكس الصديق، ويقصد الشّاعر بالعدوّ، الاستعمار الإسرائيلي، الّذي احتلّ الأراضي الفلسطينيّة، وحاصرها ونهب ثرواتها، وقتّل أهلها، لذلك قد يمثّل العدوّ، ويرمز للظلم والاستبداد. ولفظ(الجريح)،الّذي جاء؛في قوله:

"نجد الوقت للتسلية:

نلعب النّرد،أو نتصفّح أخبارنا

في جرائد الأمس الجريح"[47]

فالجريح مفعول من الفعل: جَرَحَ يَجْرَحُ جَرْحًا، وإذا قلنا: جُرِحَ فلان، يعني بأنّه أصابه جرح، وجَرَحَ فلانٌ فلانًا، إذا شقّ بعض بدنه؛ أي: أثّر فيه بالسلاح، وأمّا لو قلنا: جَرَحَهُ بلسانه، فذلك يعني: بأنّه سبّه وشتمه. والجريح يعدّ طرفًا ،من الأطراف المشاركة في الحرب، ولكنّ مفردة(الجريح)في القول السابق، لم تدلّ على الإنسان الجريح بحدّ ذاته، وإنّما جاءت لتدلّ على الأمس المظلم والسيّئ، إذ جاء القول السابق في

سياق الكلام، الّذي أخذ الشّاعر فيه يخاطب العدوّ الصّهيوني، وأمره بالخروج من بلده، ليسترجع هو وأبناء بلده حريّتهم، ويعيشوا كأناس عاديّين، لهم حريّتهم كباقي البشر، وذلك عندما قال:

"أيّها الو اقفون على عتبات البيوت،

اخرجوا من صباحاتنا،

نطمئنّ إلى أنّنا

بشر مثلكم"[48]

ت. حقل الألفاظ الدّالّة على الخسائر والحوادث المأساويّة ناتجة عن الحرب:

وتشمل هذه الألفاظ: النزيف والبكاء والاعتقال والحزن، والموت والألم والجروح، والقتلى والسجين...وغير ذلك، فممّا لا شكّ فيه بأنّ كلّ حرب ينتج عنها خسائر كثيرة، قد تكون معنويّة وماديّة، وفي حرب الفلسطينيّين ضدّ العدوّ الإسرائيلي، خسروا الكثير من الأرواح، وكانت نتائج تلك الحرب ولا تزال كبيرة؛ ماديّة ومعنوية، لذلك كان حضور هكذا ألفاظ مكثّفًا في المدوّنة الشّعريّة، من ذلك مفردة(النزيف)، الّتي جاءت في قوله:

"سوف نحزن كالآخرين لأشياء شخصيّة

حبّأتها عناوين كبرى،

فلم ننتبه لنزيف الجروح الصغيرة فينا"[49]

إذ يقول الشّاعر ههنا، إنّهم من كثرة همومهم ومشاكلهم، الّتي سبّبها لهم الاستعمار الإسرائيلي، من حصار وقتل، وغير ذلك، لم ينتبهوا لسيلان دم الجروح الصغيرة فيهم، ومفردة(النزيف)معجميًّا، هي كلمة مصاغة من الفعل (نَزَفَ يَنْزِفُ)، ونزيف الجروح، يدلّ على سيلان دمها بغزارة[50]، ومن المفردات الّتي تنتمي إلى ذات الحقل، وتعبّر عن نتائج وخسائر الحرب، مفردة(الاعتقال) و (المعتقل)، الّتي جاءت في ثنايا قول الشّاعر:

"لكنّني أكره الاعتقال ولا أكرهك.

هكذا قال مُعتقل للمحقّق: عاطفتي

لا تخصّك. عاطفتي هي ليلي الخصوصيّ"[51]

يدلّ هذا اللّفظ معجميًّا، على وضع شخص ما في الحبس أو السجن بتهمة ما، وكلمة(اعتقال) مصدر للفعل اعتقل، و(المُعتَقَل) اسم مفعول من ذات الفعل، والعدوّ الإسرائيلي يعتقل كلّ يوم الكثير من الفلسطينيّين، بغية تعذيبهم وقتلهم، كسياسة متّبعة من طرفه، بهدف بثّ الرّعب والخوف في نفوس

الشعب الفلسطينيّ، وممّا تخلّفه الحرب معنويًّا، (الألم) و(البكاء) و(الحزن)، إذ نجد الشّاعر يقول معرّفًا الألم:

"الألم

هو أن لا تعلّق سيّدة البيت حبل الغسيل صباحًا،

وأن تكتفي بنظافة هذا العلم"[52]

ويعني الألم معجميًّا الوجع[53]، والشّعب الفلسطيني يعيش كلّ يوم أوجاعًا كثيرة، يرون أحبابهم وأهلهم يموتون كلّ يوم، ومنهم مَن هم في معتقلات العدوّ، يتعرّضون لأبشع العذاب، وهذا الألم يسبّب لهم أحزانًا كبيرة، ولكنّهم يُخفون تلك الأحزان، لئلا يراها العدوّ، ويحتفل بنصره عليهم، إذ قال محمود درويش:

"نُخزّن أحز اننا في الجرار، لئلا

يراها الجنود فيحتفلون بالحصار...

نخزّنها لمواسم أخرى"[54]

وهذا الأمر الّذي يجعلهم يبكون ويتألّمون سرًّا، ويتمنون أن ينتهي هذا الحصار. وتعدّ مفردة (الموت) أيضًا من المفردات ، الّتي تشير إلى مأساة الحرب، إذ قال الشّاعر:

"كلّ موت،

وإن كان منتَظَرًا،

هو أوّل موتٍ

فكيف أرى

قمرًا

نائمًا تحت كلّ حجر؟"[55]

ونستنتج ممّا سبق أنّ أغلب مفردات هذا الحقل، تصبّ في قالب واحد، ودلالة واحدة، فتلك المفردات أدلّة قاطعة على أنّ الشّاعر، وشعبه قد اختنقوا من هذا الضيّق، الّذي يحاصرهم من كلّ الجهات، فلا مفر أمامهم الموت في الأمام والعدوّ في الخلف، الأمر الّذي جعلهم يختارون الشّهادة في سبيل الله.

3.3 حقل الألفاظ الدّالة على الحزن :

لقد مثّل هذا المجال الدّلالي، مفردات كثيرة؛ منها: (الموت والألم، والتوجّع والبكاء، والأحزان والضّجر والأسى، والتّعب والجرح، والحرب والفقر، والجنازة...وغيرها)، وسنُحاول الوقوف على بعض هذه

المفردات، لنبيّن دلالاتها، فمثلًا: مفردة(الموت) قد تكرّرت كثيرًا في المدوّنة الشّعريّة، إذ جاءت في قول الشّاعر:

{إلى حارس:} سأعلّمك الانتظار

على باب موتي المؤجّل

تمهّل، تمهّل

لعلّك تسأم مني

وترفع ظلّك عنّي

وتدخل ليلك حرّ

بلا شبحي"[56]

ففي هذا الجزء، أخذ الشّاعر يخاطب الحارس الإسرائيليّ، فقال له إنّه سيُعلّمه الانتظار على باب موته المؤجّل؛ أي: سيُقاومه ويُحاربه بكلّ ما أوتي من قوّة، ثمّ أخذ يأمره بأن يتروّى قليلًا عليه، حتّى يسأم من عناده وشجاعته فيتركه، ومنه فالموت معجميًّا خلاف الحياة[57] ؛ أي: تدلّ على انتهاء الحياة. ومن المفردات، الّتي تدلّ على الحزن، مفردة(الأسى)، الّتي جاءت في قول الشّاعر:

"لعلّك مثلي تُصفّر لحنًا يُهاجر

أندلسيُّ الأسى، فارسيُّ المدار

فيُوجعك الياسمين، وترحل"[58]

ومفردة(الأسى) هي مصدر للفعل أَسِيَ يَأسَى أسًّا[59]، وإذا قلنا: فلان أَسِيَ على فلان، فمعناه: أنّه حَزِن عليه وعلى حاله، ومنه فالأسى يُمثّل إحدى المشاعر، الّتي طغت على حياة كلّ فلسطينيّ، بسبب الاحتلال الإسرائيليّ له، الّذي قتّل أهله، وارتكب في حقّه أبشع الجرائم، فكيف لا يشعر بالأسى. وهكذا؛ فقد حاول الشّاعر سرد معاناة شعبه وأحزانهم، الّتي تسبّب فيها العدوّ الصّهيوني. ولعلّ من المفردات الّتي تُبيّن مشاعر الحزن والأسى، وتعبّر عن معاناة الشّعب الفلسطينيّ أيضًا، مفردة(الضّجر)، الّتي جاءت في قوله:

"سيمتدّ هذا الحصار إلى أن

يحسّ المُحَاصِرُ مثل المُحَاصَر،

أنّ الضّجر

صفة من صفات البشر"[60]

تعدّ كلمة(الضّجر) مصدرًا للفعل ضَجِرَ يَضجُرُ ضَجَرًا، وتعني القلق من الغمّ والاغتمام، وكذا ضيق النّفس[61]، وهكذا؛ يدلّ القول السابق ومفردة الضّجر، على اختناق الشّعب الفلسطينيّ من هذا الضيق، الّذي يُحاصره من كلّ الجهات. وتنتمي مفردة (وجع) أيضًا إلى حقل الحزن والمعاناة، إذ ذكرها الشّاعر في قوله:

"وضعت غزالًا على مخدعي

وهلالاً على إصبعي

كي أخفّق من وجعي"[62]

وقال في قول آخر له:

"لعلّك مثلي تُصفّر لحنًا يُهاجر

أندلسيّ الأسى، فارسيّ المدار

فيُوجعك الياسمين، وترحل"[63]

ولفظ(الوجع) مصدر للفعل وَجِعَ يَجِعُ، فهو موجوع، ويعني الألم الناتج عن مرض أو جرح أو غيره[64]، وقد يكون هذا الوجع ماديًّا؛ أي: يكون ناتجًا عن جرح ما، أو مرض ما، وأمّا الوجع المعنوي، فقد يُصيب القلب، فيتوجّع القلب بسبب كلام جارح، أو لرؤية مشهد مؤلم أو غير ذلك، لذلك قد جاءت مفردة (يُوجعك) المأخوذة من (الوجع) في القول الثاني، لتدلّ على توجّع القلب لرؤية الدمّ(دم الشهداء)، الّذين قتلهم الصهاينة، لأنّ الياسمين رمز جاء به الشّاعر ليُعبّر به عن الدّم، وكذلك عبّرت عن ذات المعنى في القول الأوّل، لأنّ الشّاعر يتوجّع بسبب ما يتعرّض له وطنه وأهله، من اضطهاد وحصار وقتل وتعذيب. ومنه كانت هذه أهمّ المفردات، الّتي تدخل ضمن حقل الحزن.

4.3 حقل الألوان:

لقد مثّلته الكثير من المفردات، فدلّت على مختلف الألوان، من ذلك اللّون: الرّمادي والبرتقالي، والأبيض والأزرق، والأسود والأحمر، والأخضر والشفّاف، وقد مثّلت هذه الألوان المفردات: رصاصيّة وبرتقاليّة، وبيضاء ورماديّة، وقوس قزح وحمراء، وسوداء والأزرق، والمزركش، والشفافة والأخضر...وغيرها. فقد جاءت مفردتي (رصاصيّة) و (برتقاليّة)؛ في قول الشّاعر، الّذي أخذ يصف فيه سماء فلسطين قائلًا:

"السّماء رصاصيّة في الضّحى

برتقاليّة في اللّيالي،وأمّا القلوب

فظلّت حياديّة مثل ورد السياج"[65]

فقد وصف الشّاعر لون سماء فلسطين بالرّصاصيّ في الضّحى، والبرتقاليّ في اللّيل، ومفردة (رصاصيّة) مذكّرها (رصاصيّ)، وتطلق هذه الصّفة على ما كان لونه كلون الرّصاص[66]؛ أي: اللون الرّمادي. و(برتقاليّة)ما كان لونها من لون قشرة البرتقال، كانت هذه دلالتهما المعجميّة، ولكنّ السياق اللّغوي الّذي وردت فيه المفردتان، يُبيّن أنّ المفردة الأولى (رصاصيّة) تدلّ على أنوار الرّصاص، وطلقات مدافع العدوّ الإسرائيلي ودخانها، الّذي يكون رماديّ في النّهار، وبرتقاليّ في اللّيل. ومن ههنا يمكن القول إنّ للألوان دورًا مهمًّا في تصوير مشهد الحرب في فلسطين، ومن ثمّ تصوير معاناة شعب الفلسطيني. وممّا يدلّ على اللّون أيضًا، مفردة(بيضاء)، الّتي وردت في قوله:

"عندما تختفي الطائرات تطير الحمامات،

بيضاء بيضاء، تغسل خدّ السماء"[67]

فصحيح أنّ هذه المفردة تدلّ على اللّون، ولكنّها تحمل دلالة معنويّة، وهي دلالة السّلام والصّفاء، إذ يتمنى الشّاعر أن تختفي طائرات العدوّ ورصاصاته ومدافعه، لتنتشر الحمامات البيضاء الدّالّة على السّلام في أرجاء فلسطين، ومنه فهو قد تمنّى أن يرى فلسطين حرّة مستقلّة، وقد يدلّ اللّون الأبيض على الصّفاء، بحيث **"إنّ الغالب على اللّون الأبيض أنّه رمز الصفاء،والعفّة والنظافة والطّهارة والوضوح"**[68]. وأمّا مفردة(رماديّة)، الّتي جاءت في قوله:

"نحبّ الحياة غدًا

عندما يصل الغدّ سوف نحبّ الحياة

كما هي،عادة ماكرة

رماديّة أو ملوّنة"[69]

فالرّمادي لون مأخوذ من لون الرّماد[70]، لذلك سُمي باسمه، وقد تدلّ مفردة(رماديّة) في القول السابق، على دلالة إضافيّة غير دلالة اللّون، وهي دلالة الهمّ والحزن، فالشّاعر يقول إنّهم سيحبّون الحياة كما هي ويعيشونها بحزنها وفرحها. ومن ثمّ قد تدلّ مفردة (ملوّنة)على الفرح. ومنه نستنتج أنّ اللّون الرّمادي، له دلالة سياقيّة، وهي تتمثّل في دلالته على الحزن والحداد[71]. وقد جاءت المفردات: الأحمر والأسود والأخضر في قوله:

"سيلعب طفل بطائرة من ورق

بألوانها الأربعة

{أحمر، أسود، أبيض، أخضر}

ثمّ يدخل في نجمة شاردة"[72]

فصحيح أنّ المفردات السابقة كلّها تدلّ على اللّون، ولكنّها تحمل في طيّاتها معانٍ ودلالات ورموزًا قيّمة، فمثلًا يدلّ اللّون الأحمر على الدّم وعلى التّضحيّة؛ أي:تضحية الشّعب الفلسطيني في سبيل استرجاع حرّيته المسلوبة منه. وأمّا اللّون الأسود فيدلّ على الموت، وعلى السلبيّة المطلقة، وعلى الحداد[73]، ومنه يُعبّر الأسود عن الحزن، الّذي سيطر على حياة الفلسطينيّين. وأمّا الأبيض فقد يدلّ على أمل وتفاؤل الفلسطينيّين في الحصول على السّلام، والآمان والاستقلال، لأنّ غالبًا ما يدلّ اللّون الأبيض على الحريّة والسّلام. وأمّا الأخضر فقد يدلّ على الأمل[74]؛ أي: أمل الشّعب الفلسطينيّ في الاستقلال والقضاء على الاحتلال الإسرائيليّ. لقد كانت هذه أهم المفردات، الّتي مثّلت حقل الألوان.

4. خاتمة:

توصّلنا من خلال بحثنا الموسوم "دراسة دلاليّة لدّيوان "حالة حصار" لمحمود درويش وفق نظرية الحقول الدّلاليّة" إلى نتائج مهمّة يُمكن أن نُجملها في النقاط التالية:

1. أنّ للجانب الدّلالي وللحقل الدّلالي قيمة ودور كبيرين في فهم النصوص الشّعريّة في ديوان "حالة حصار"، هذا الأخير الّذي كان غنيًّا بالدّلالات والرموز الموحيّة، الحاملة لمعانٍ نفسيّة، والّتي عبّرت عن معاناة شعبي أبيّ ومناضل ظلّ يُقاوم ويُحارب عدوّه الإسرائيلي من أجل استرجاع سيادته وحريّته.

2. أنّ أهمّ ما يُميّز ديوان "حالة حصار" هو غناه بالألفاظ الدّالة على الطبيعة، هذه الأخيرة الّتي كانت مصدر إلهام بالنسبة لمحمود درويش، فاتّخذ من ألفاظها وسيلة لتصوير وتجسيد مشهد الحرب بين الشّعب الفلسطيني والاحتلال الإسرائيلي.

3. عبّر حقل الطبيعة عن الحرب وعن عدم استقرار أحوال الشّعب الفلسطيني بسبب الاستعمار تارة، وعبّر عن تشبّث هذا الشّعب بأمل نيل الحريّة والانتصار على العدوّ الإسرائيلي تارة أخرى.

4. عبّر حقل الحرب عن عظمة الشّعب الفلسطيني، وقوّته في مكافحته وصدّه للعدوّ الإسرائيلي بكلّ ما أوتي من وسائل.

5. كشف حقل الحزن عن الجوّ العام للدّيوان الشّعريّ، وعبّر عن الأحزان والآلام الّتي يعيشها الشّعب الفلسطيني بسبب ما يتعرّض له من اِضطهاد وتعذيب وقتل.

6. لقد كان للحقل الدّلالي دور في الكشف عن القيمة الدّلاليّة للألفاظ الدّالّة على الألوان في ديوان "حالة حصار" ،فقد أغنى محمود درويش هذه الألفاظ برموز ودلالات لها قيّمًا دلاليّة موحيّة؛ كاللّون الأحمر ، الّذي دلّ على الدمّ وعلى تضحية الشّعب الفلسطيني في سبيل استرجاع حريّته المسلوبة منه. ودلّ اللّون الأسود على الموت والحزن والحداد، الّتي سيطرت على حياة الفلسطينيين بسبب الاستعمار الغاشم. وأمّا اللّون الأبيض فقد عبّر عن أمل وتفاؤل الشّعب الفلسطيني في الحصول على الاستقلال والحريّة.

5. قائمة المراجع:

[1]- الخولي، محمد علي ، علم الدّلالة (علم المعنى)، دار الفلاح، الأردن، (د.ط)، 2001م، ص174.

[2]- مختار عمر، أحمد، علم الدّلالة، مكتبة لسان العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص79.

[3]- يُنظر: عزوز، أحمد، أصول تراثية في نظرية الحقول الدّلالية، منشورات إتّحاد الكتّاب العرب، سوريا، (د.ط)، 2002م، ص12.

[4]- يُنظر: مختار عمر، أحمد، علم الدّلالة، ص87.

[5]- يُنظر: المرجع نفسه، ص88 و95.

[6]- درويش، محمود، حالة حصار، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، ط1، 2002م، ص12.

[7]- مسعود، جبران ، الرّائد، دار العلم للملايين ،بيروت، لبنان، ط7، 1992م، ص449.

[8]- درويش، محمود، حالة حصار، ص42.

[9]- رضا، أحمد، متن اللّغة، دار مكتبة الحياة، لبنان، (د.ط)، 1960م، مج:4، ص645. ويُنظر: الزبيدي، السيّد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: حسين النصّار، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د.ط)، 1974م، ج:13، ص464.

[10]- يُنظر: أنيس، إبراهيم ، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصريّة، مصر، ط3، 1976م، ص107.

[11]- درويش، محمود، حالة حصار، ص88.

[12]- المصدر نفسه، ص41.

[13]- يُنظر: ابن منظور، جمال الدّين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، مج:1، ص461.

[14]- درويش، محمود، حالة حصار، ص12.

[15]- المصدر نفسه،ص 42.

[16]- يُنظر: مجمّع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّوليّة، جمهوريّة مصر العربيّة، ط4، 2004م، ص71. والفيروزبادي، مجد الدّين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، ص181.

[17]- درويش، محمود، حالة حصار، ص69.

[18]- المصدر نفسه، ص23.

[19]- المصدر نفسه، ص96.

[20]- يُنظر: البستاني، المعلّم بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1987م، ص80.

[21]- درويش، محمود، حالة حصار، ص51.

[22]- رضا، أحمد، متن اللّغة، ج: 2، ص107.

[23]- درويش، محمود، حالة حصار، ص63.

[24] - يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مج:1،ص645.

[25]- يُنظر: الخولي، محمد علي، مدخل إلى علم اللّغة، دار الفلاح، الأردن، ط2، 2000م، ص136. والخولي، محمد علي، علم الدّلالة (علم المعنى)، ص76.

[26]- الخولي، محمد علي ، علم الدّلالة (علم المعنى)، ص69.

[27]- يُنظر: بن الدّين بخولة، دلالة اللّفظ بين المعجم والسياق، مجلة جامعة ابن رشد في هولاندا، ع: 08، 2013م، ص66.

[28] - درويش، محمود، حالة حصار، ص88. .

[29]- يُنظر: ابن فارس، أحمد، مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت)، ج:4، ص422.

[30]- درويش، محمود، حالة حصار، ص 26.

[31]- يُنظر: الزبيدي، السيّد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الفتّاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د.ط)، 1986م، ج: 23، ص 191 .

[32]- يُنظر: أولمان، ستيفن ، دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة، مصر، ط12، (د.ت)، ص62.

[33] - يُنظر: مختار عمر، أحمد، علم الدّلالة، ص37.

[34] - يُنظر: أنيس، إبراهيم ، دلالة الألفاظ، ص107و109.

[35] - يُنظر: المرجع نفسه، ص85. و أولمان، ستيفن ، دور الكلمة في اللّغة، ص90و94.

[36]- درويش، محمود، حالة حصار، ص57.

[37] - يُنظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1986م، ص97.

[38]- درويش، محمود، حالة حصار، ص10.

[39]- المصدر نفسه، ص44.

[40] - يُنظر: مجمّع اللّغة العربيّة، معجم الوسيط، ص268.

[41]- درويش، محمود، حالة حصار، ص97.

[42]- المصدر نفسه، 86.

[43]- المصدر نفسه، ص85.

[44]- يُنظر:رضا، أحمد ، متن اللّغة، ج:3، ص285و286.

[45]- درويش، محمود، حالة حصار، ص10.

[46]- يُنظر: مسعود، جبران ، الرائد، ص542.

[47] - درويش، محمود، حالة حصار، ص19.

[48]- المصدر نفسه، ص18.

[49]- المصدر نفسه، ص39.

[50] - يُنظر: الفيروزبادي، مجد الدّين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ص855.

[51]- درويش، محمود، حالة حصار، ص65.

[52] - المصدر نفسه، ص15.

[53] - يُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصّحاح "تاج اللّغة وصحاح العربية"، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2009م، ص51.

[54]- درويش، محمود، حالة حصار، ص39.

[55] - المصدر نفسه، ص21.

[56]- المصدر نفسه، ص68.

[57] - يُنظر: ابن فارس، أحمد، مقاييس اللّغة، ج:5، ص283 .

[58]- درويش، محمود، حالة حصار، ص69.

[59] - يُنظر: مجمّع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص18. وابن فارس، أحمد، مقاييّس اللّغة، ج:1، ص106 .

[60]- درويش، محمود، حالة حصار، ص47.

[61]- يُنظر: ابن منظور، جمال الدّين محمد، لسان العرب، مج:4، ص481. وابن فارس، أحمد، معجم مقاييّس اللّغة، ج:3، ص390. والرّازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصّحاح، ص158

[62]- درويش، محمود، حالة حصار، ص80.

[63]- المصدر نفسه، ص69.

[64]- يُنظر: رضا، أحمد، متن اللّغة، ج:5، ص711 . والجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصّحاح "تاج اللّغة وصحاح العربية"، ص1229.

[65]- درويش، محمود، حالة حصار، ص12.

[66]- يُنظر: مجمّع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص348.

[67]- درويش، محمود، حالة حصار، ص23.

[68]- صالح، ضاري مظهر، دلالة اللّون في القرآن والفكر الصوفي، دار زمان للطباعة والنّشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2012م، ص61.

[69]- درويش، محمود، حالة حصار، ص28.

[70]- الرّماد: دقاق الفحم من حراقة النّار، يُنظر: رضا، أحمد ، متن اللّغة، ج:2، ص646.

[71]- يُنظر: عبيد كلود، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها)، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2013م، ص115 و116.

[72]- درويش، محمود، حالة حصار، ص66.

[73]- يُنظر: صالح، ضاري مظهر، دلالة اللّون في القرآن والفكر الصّوفي، ص93.

[74]- يُنظر:عبيد، كلود ، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها)، ص95.